نظام البريد في العهد الاسلامي

ربيعة الطاهر الكماشي
الدرجة العلمية : مساعد محاضر
كلية التربية – الزهراء / جامعة الجفارة
Alkmashyrbytaltahr@gmail.com

ملخص

كان نظام البريد في العهد الإسلامي من الأنظمة الحيوية التي ساهمت في تعزيز التواصل والإدارة داخل الدولة الإسلامية. تطور هذا النظام بشكل كبير خلال الخلافات المختلفة، بدءًا من الخلافة الراشدة وصولًا إلى العصر العباسي. كان لنظام البريد دور أساسي في نقل الرسائل والأوامر الحكومية والتجارية، مما ساهم في تسهيل إدارة الدولة وتعزيز الاتصال بين الولايات والمراكز الرئيسية.

الكلمات المفتاحية

البريد، العهد الاسلامي، الرسائل

Abstract

The postal system in the Islamic era was one of the vital systems that contributed to enhancing communication and administration within the Islamic state. This system developed significantly during various caliphates, starting from the Rashidun Caliphate to the Abbasid era. The postal system played a fundamental role in transmitting governmental and commercial messages and orders, which facilitated state administration and strengthened communication between provinces and main centers.

Keywords

Postal system Messages- - Islamic era

المقدمة

الحمد الله المنعم على عبادة لوافر نعمه، والصلاة والسلام على خير من اهتدى بكامل هديه ، وعلة آله وصحبه أجمعين.

اتسعت رقعة الدولة الاسلامية ، وازدادت الحاجة إلى إنشاء نظام إداري يضمن وصول الرسائل بين عاصمة الخلافة ومدن ديار الإسلام ، وخاصة المراسلات بين الخليفة والولاة ، فقام معاوية بن أبي سفيان بتطوير نظام التراسل المعروف لدى الفرس والبيزنطيين وهو النظام الذي أحدمه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ، ومن جاء بعده من خلفاء بني أمية ، وفي عهد العباسيين كانت أهم أعمال محمد المهدي تنظيمية للبريد ، وتعميمه بين المدائن الكبيرة ، حيث أمر بإاقمة البريد بين مكة والمدينة واليمن ولم يفعل أحد هذا قبل ذلك وكان هذا في عام (166ه-782م).

ويُعد دوان البريد من أبرز مظاهر الأنظمة الإدارية التي اعتمد عليها العرب وهو أحد مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، لذلك يأتي هذا البحث لدراسة ديوان البريد وتتبع تطوره ويركز أساسًا على عصر قيام الدولة الإسلامية منذ بدايتها إلى نهاية العصر العباسي ، وهذه أبرز مراحل الحضارة العربية افسلامية التي كانت مزدهرة ولها لافضل الكبير في تطور الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية للعالم فيما بعد .

1- مشكلة البحث

يُعتبر نظام البريد في العهد الإسلامي أحد الأنظمة الحيوية التي ساهمت في تعزيز التواصل والإدارة داخل الدولة الإسلامية. ومع ذلك، يواجه هذا النظام مجموعة من التحديات والمشاكل التي تؤثر على فهمنا الكامل لدوره وتطوره عبر العصور. تتمثل مشكلة البحث في دراسة وتحليل تطور نظام البريد في العهد الإسلامي، وتقييم فعاليته وتأثيره على إدارة الدولة والاتصال بين الأقاليم والمراكز الرئيسية. تهدف الدراسة إلى فهم العوامل التي أسهمت في نجاح هذا النظام وأسباب التحديات التي واجهها، مما يساعد في تقديم رؤية شاملة وواضحة عن دوره التاريخي والتطورات التي شهدها.

2- أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في أنه يتعرض لجانب من جوانب الحضارة العربية الإسلامية من خلال التعرف بديوان البريد أحد أنظمة الإدارة في الحضارة العربية، وما يمثله من أهمية بالغة في حياة الأفراد والحكومات، كما يوضح الدور الذي يؤديه البريد في كثير من الأمور السياسية والعسكرية.

3- أهداف البحث

- يهدف هذا البحث إلى تتبع البريد منذ نشأته في الإمبراطوريات القديمة اليونانية والفارسية والرومانية إلى نهاية العصر العباسي.
- الوقوف على مظاهر التطور الذي حظى به ديوان البريد وأثر ذلك على الحياة السياسية والاجتماعية العربةي.

4- الدراسات السابقة

☐ محمد شاهين، نظام البريد في ظل الخالفة الاسلامية، **موقع التاريخ الالكتروني، 2010 م.**

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية، وازدادت الحاجة إلى إنشاء نظام إداري يضمن وصول الرسائل بين عاصمة الخلافة ومدن دار الإسلام، وخاصة المراسلات بين الخليفة والولاة، فقام "معاوية بن أبي سفيان" بتطوير نظام التراسل، المعروف لدى الفرس والبيزنطيين، وهو النظام الذي أحكمه الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" .

وكان استمرار الاتصال بين المركز والأطراف يعني استمرار الولاء والطاعة، أما قطع البريد عن الخليفة فيعني إعلان العصيان عليه.

تحدثت كتب السيرة النبوية عن الرسائل التي أرسلها الرسول صلى هللا عليه وسلم إلى الملوك والأمراء، يدعوهم فيها إلى الإسلام، وهي أشبه بالرسائل الدبلوماسية التي يحملها السفراء .وعرف المسلمون في ظل الدولة وسائل نقل البريد البري على ظهور الدواب، باستخدام البغال والخيول والجمال، والبريد الجوي باستخدام الحمام الزاجل، والبريد المائي على ظهور السفن عبر البحار والأنهار.

- ☐ قيس حاتم هاني الجنابي ، نشأة وتطور البريد في الدولة العربية الإسلامية حتى عام 86 هجرية ، مجلة كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل ، العدد/10 ، **2013 م .**

إن المقياس الحقيقي لرقي الأمم هو مدى تطور أجهزتها الإدارية فيها، والدولة العربية الإسلامية واحدة من الدول التي شهدت رقياً حضارياً قل مثيله لأنه كان شاملاً لكل محافل الحياة السياسية والإدارية، وشمل نظماً إدارية لم يكن للعرب فيها باع طويل بل أخذوها عن الأمم التي سبقتهم، فطوروها وأضافوا لها فأبدعوا، وصقلوها بما يتلاءم وشريعتهم الإسلامية، وكان أحد هذه النظم هو نظام نقل الأخبار بين الأطراف المختلفة داخل الدولة وخارجها، وهو ما يصطلح عليه بنظام البريد المعروف حاليا بنفس التسمية، وهذا هو موضوع البحث، وحدد بفترة الدولة العربية الإسلامية حتى عام 76 هجرية.

اختلف المؤرخون في أصل كلمة بريد فبعضهم يرجعها إلى أصل عربي ومعناه المسافة بين محطتين، أو أن البريد يعني الرسل على دواب البريد .

هناك من الشواهد التاريخية ما تشير إلى أن النفقات على البريد كانت تصرف من بيت مال المسلمين وأن البريد تعدى إلى خارج حدود الدولة الإسلامية، وهذا ما يؤكده الطبري في روايته عن تبادل الهدايا بين أم كلثوم زوجة الخليفة عمر بن الخطاب وبين زوجة ملك الروم، وكيف أن عمر ﷺ رفض تسليم هدية زوجة ملك الروم إلى أم كلثوم وأدى لها ما نفقت في هديتها لزوجة ملك الروم وأمر برد الهدية إلى بيت المال لأن نفقات البريد كانت من بيت المال ولا يجوز أن يستغل لأغراض شخصية خاصة .

5- منهج البحث

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل والتعليل والنقد على دراسة النصوص واستخلاص النتائج للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

6- تقسيمات البحث

إضافة إلى المقدمة، قسم البحث إلى مجموعة محاور، وكانت على الشكل التالي:

1- البريد لغة واصطلاحًا.
2- نشأة البريد.
3- المفاهيم المرتبطة بالنظم البريدية قديمًا.
4- أنواع ووسائل نقل البريد.
أ- البريد البري عن طريق (الساعاة) و(الدواب).
ب- البريد الجوي عن طريق الحمام الزاجل.
ت- البريد البحري.
5- البريد في الحضارة العربية الاسلاميه.
6- البريد في العصر الأموي.
7- البريد في العصر العباسي.

8- أسباب ودوافع اهتمام العرب بالبريد.
9- شخصية (البريدي) المكلف بمهام البريد.

ويلي ذلك الخاتمة بما تحمله من نتائج واقتراحات للباحثة ، وأخيرًا فهرس المصادر والمراجع.

هذا وقد اعتمدت على مجموعة هامة من المصادر التاريخية التي تعرضت إلى البريد سواء بشكل واسع أو بشكل عارض، كذلك استعانت بمجموعة من الكتب والمؤلفات التاريخية الحديثة المهمة.

فمن المصادر نجد كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري ، إضافة إلى كتاب الفخري في الآداب السلطنية لابن طباطا ، كذلك اعتمدت على كتابي رحلة ابن بطوطة ، ومعجم البلدان ، لياقوت الحموي وصبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشندي.

ومن الكتب الحديثة كتاب تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، كذلك العصر الأموي الأول، وكلاهما للمؤلف عبدالمنعم ماجد ، إضافة إلى كتاب النظم الإسلامية للمؤلف أنور الرفاعي ، والنظم الإسلامية لصبحي الصالح ، وتاريخ الحضارة العربية الإسلامية للمؤلف بشير التليسي ، ومن المراجع العربية أيضًا كتاب الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى للمؤلف أحمد عبدالرزاق وغيرها من الكتب الأخرى التي لا يتسع المجال لعرضها ، وقد وضعت في فهرس المصادر ولامراجع.

1-6 البريد لغةً

فسر الرزاي في مختار الصحاح ، معنى البريد فقال : البريد المرتب ، يقال حُمل قلان على البريد ، وصاحب البريد قد أبرد إلى المير فهو (مُبرد) ، والرسول (بريد) ، والبريد تعريب للكلمة الفارسية (بريده دم) بمعنى محذوف أو مقصوص الذنب، وذلك لأن ملوك الفرس كانوا يميزون دواب البريد بقص أذنابها ، وقد عُربت الكلمة الفارسية فأصبحت (بريد). (ابوبكر، 1976)

أما القلقشندي فيوضح أن البريد مسافة معلومة قدرها أثنى عشر ميلاً ، وقدر الفقهاء وخبراء المسالك والممالك هذه المسافة بأربعة فراسخ ، والفرسخ ثلاثة أميال .

وفي الاصطلاح، فهو أن توضح خيل مضمرات في عدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها ، وقد تعب فرسه ركب غيره فرسخًا مستريحًأ ، وكان يفعل في المكان الآخر ، حتى يصل بسرعة. (ابوبكر، 1976)

2-6 نشأة البريد

يُعد البريد من النظم القديمة التي وجدت عند الرومان والفرس، ولذا يرى البعض أن هذه اللفظة ذات أصل لاتيني رغم وجود علاقة واضحة بينها وبين اللفظة العربية، ومع ذلك لم تقتصر معرفة البريد على الفرس فحسب ، بل كان للبيزنطيين نظام جديد للبريد .(ابوخليل، 1967)

إلا أن بعض المؤرخين يرجعون نشأة البريد إلى العصر (الأخميني) الإيراني القديم ، فقد أشار المؤرخ والباحث آدم سيلفر (شتاين) Adam silver الباحث في دراسات الشرق الأوسط والأدنى ـ أسار إلى ما كتبه المؤوخ والقائد العسكري اليوناني (زينقون) حين تناول النظام البريدي في الحقبة الأخمينية عبر السيرة التي كتبها عن سايروي العظيم (529-559 ق.م) فقال ورد في كتابه " لقد لاحظنا لسايروس أداة أخرى أيضًا يتعامل من خلالها مع إمبراطوريته المترامية الأطراف ، فقد كان يكتشف بواسطة هذه المؤسسة شئون ولايته بسرعة ، بغض النظر عن بعدها عنه ، فقد قام بتجارب ليعرف كم يستطيع حصان قوي أن يقطع من المسافة في يوم واحد عندما يقاد حتى تستنزف طاقته ، ولكن دون تعريضه للهلاك ، وقد نصب بعد ذلك محطات البريد عند هذه المسافات ، وزودهم بأحصنة ورجال يعتنون بهم ، ففي كل محطة كان هناك مسؤول معين لاستلام الرسائل السلمة ثم إسالها ، وأن يستقبل الأحصنة المنهكة والخيالة ، ويرسل غيرها ، وقد قالوا إيضًا أن موكب السُعاة تلحق رسل النهار في الإبدال ، وعندما يحدث هذا فإنه كان مطلقًا على الأرض أسرع من طيور الكركي ، وأن لم تكن قصصهم

صحيحة حرفيًا ، فلا أحد يستطيع الإنكار أن هذاالنظام كان الأسرع على وجه الأرض في ذلك الزمان وأنه لشيء رائع أن يكون ثمة أخبار فورية عن كل شيء كي نتمكن من التحضير لها بالسرعة الممكنة.

ويستعرض "شتاين" عددًا من المفاهيم المرتبطة بالنظم البريدية في تلك الفترة ومنها:

- **الرسائل:** هناك نوعان من الرسائل الرسميين تبعًا للمصادر التاريخية ، أولهما: المبعوث الرسمي الذي ينتقي لتأدية مهمته بناء على صفات محددة تؤهله أن يكون ممثلاً مقبولاً للحاكم ، أما الثاني: فهو الساعي البسيط مجهول الهوية ويحل محله ساع آخر لحظة وصوله إلى المحطة ، وترافق كلا النوعين قوة حماية ترشد المسافر من محطة إلى أخرى ، وتنتهي مهمة القوة المرافقة عند كل محطة.

- **المخبرون:** كان هدف النظام البريدي لزينوفون إيجاد مخابرات عاجلة عن كل شيء من أجل الاستعداد لها بأقصى سرعة ممكنة ، وهو ما امتد أثره فيما بعد إلى الدولة الأسلامية ، وظهر في أواخر الدولة الموية ما يعرف بـ" عيون وجواسيس " لجمع الخبار والمعلومات وإرسالها إلى الخليفة.

- **وسيلة الاتصال:** وكانت عن طريق السعاة البشر سواء كانوا عدائين أو رسل يمتطون البعير ، أو البغال أو الأحصنة ، وكان إرسال الرسائل مع السُعاة الراكبين هي وسيلة الاتصال الأكثر شيوعًا ، حيث كانت هناك وسيلة أخرى لبث الرسائل من خلال شبكة إشارات بصرية أو شفوية منفصلة وتتمثل في إشارات نارية أو سمعية وكانت تستخدم للأغراض العسكرية فقط .(ابوخليل، 1967)

3-6 وسائل نقل البريد :

تنقسم وسائل نقل البريد منذ العصور القديمة إلى ثلاثمة أنواع هي :

أولاً : البريد البري:

أ) السُعاة:

كانت الوسيلة التقليدية منذ قبل الميلاد هي (السُعاة) وهم : رجال تعودوا الجري وتحمل السفر والسير ، وقد تطورت هذه الوسيلة فأصبح يختار لها الرجال الأقوياء أهل الثقة والإخلاص للحامن ، وكانت تدفع لهم رواتب مجزية لما يقومون به من جهد وتحمل المشاق والتعب وقد تطورت وسائل نقل البريد شأنها شأن النظم الأخرى تشير إلى تقدم المجتمعات ورقي فكر الإنسان وإدراكه ، ومن مظاهر هذا التطور يشير ابن بطوطة عن نظام البريد في بلاد السند فيقول :" وإذا كتب المخبرون إلى السلطان من السند يصل الكتاب إليه في خمسة أيام بسبب البريد ، والبريد ببلاد السند صنفان :فإما بريد الخيل فيسمونه (الولايات) وهو خليل تكون للسلطان في كل مسافة أربعة أميال ، وأما البريد الرجالة فيكون في مسافة الميل الواحد منه ثلاث رتب ويسمونها (الرواة) وهي ثلث ميل عندهم يسمى (الكروة) وترتيب ذلك أن يكون في كل ثلث ميل قرية معمورة ويكون بخارجها ثلاث قباب ، يقف بها الرجال مستعدين للحركة ، فقد شدوا أوساطهم ، وعند كل واحد منهم مقرعة مقدار ذراعين بأعلاها جلاجل نحاس ، فإذا خرج البريد من المدينة أخذ الكتاب بأعلى يده والمقرعة ذات الجلاجل باليد الأخرى ، وخرج يشتد بمنهي جهده ، فإذا سمع الرجال الذين بالقباب صوت الجلاجل تأهبوا المقرعة حتى يصل إلى الرواة الأخرى إلى أن يصل الكتاب إلى حيث يراد منه . (الطبري، 1962)

ويضيف ابن "بطوطة" من خلال حديثه عن البريد في بلاد السند فيقول : " وربما حملوا على هذا البريد الفواكه المستطرقة بالهند من فواكه خرسان يجعلونها في الأطباق ويشتدون بها حتى تصل إلى السلطان ، وكذلك يحملون الكبار من ذوي الجنايات يجعلون الرجل على سرير ويرفعونهفوق رؤوسهم" .(بطوطه)

ب) الدواب :

تُعد الدواب كالبغال والخيول أبرز وسائل البريد البري وهي الوسيلة الأساسية الأكثر استخدامًا إلى قرون قريبة خلت ، فقد سبق القول أن ملوك الإمبراطوريات القديمة كالفرس والروم والبيزنطيين استعملوا الدواب كوسيلة بريدية برية وكانوا يميزونها بقص اذنابها لتمييزها عن بقية الدواب،فكان عمال الدولة في تلك الإمبراطوريات يركبون هذه الدواب إلى البلاد البعيدة، وكانت الدواب التي يتم اختيارها لهذه المهمة الشاقة تتميز بالقوة والسرعة ، وقد تم إنشاء محطات بريد برية منتشرة على الطرق البرية وبين المدن لرعاية دواب البريد وتأمين راحتها واستبدالها عند الحاجة بدواب أخرى ليتابع حامل الرسائل سفره مسرعًا نحو الجهة التي هو قاصدها ، وقد تستبدل هذه الخيول كما يستبدل حاملو البريد ويقوم رجال آخرون بالمهمة نفسها فيواصلون المسير بالبريد إلى محطة أخرى ، وهكذا حتى تستمر عملية الاستبدال هذه مستمرة في الخيل والرجال إذا ما دعن الحاجة حتى يصل البريد بأقصى سرعة وحتى لا تتعب الدواب وراكبوها. (الطبري، 1962)

مميزات البريد البريد :

قد يتبادر إلى الذهن أن مهمة البريد البري هي نقل الرسائل فقط ، ولكن الحقيقة أن مهمة ووظيفة هذا النوع من البريد تعد كبيرة وذات فائدة عظيمة ، فالبريد البري من خلال استعمال الدواب كالبغال والخيل وأضيف إليها الجمال في مراحل متقدمة من حضارة الأمم ، استخدم البريد البري في الآتي :

- نقل الأسرى أو المرضى والجنود ، وإذا طلب الحاكم رجلاً للقائه حُكمل على البريد.
- نقل الكتب المدرسية.
- نقل المواد سريعة التلف إلى الحاكم كالفواكه الموسمية والأدوية وغيرها من احتياجات البلاط الملكي التي لا تتوفر في البلاد.
- استخدام البريد البري في إرسال الجواسيس للتجسس على الأعداء أو إرسال ما يسمة بعيون الحاكم لمعرفة أحوال البلاد والعباد في أطراف الدولة وإرسال تقارير عن الولاة والأمراء وقادة الجيوش وكل ما يريد الحاكم معرفته عن أحوال بلاده.

البريد الطائر:

وتلك بالاعتماد على ما يعرف بالحمام الزاجل وحمام الرسائل ، وقد عرفت هذه الطريقة منذ عصور اليونان والرومان واستعمل آنذاك في الأغراض العسمرية ةهو ِأبه بالبريد الجوي ، وقد كانت هذه الطريقة تخضع إلى تجارب عديدة ودقة متناهية ، فكانت تلك الحمائم البريدية تحمل رسائل مختصرة جدًا تكتب على ورق خفيف يعلق على أجنحة الحمامة أو ذيله، وكانت تلك الرسائل تكتب من صورتين ترسلان مع طائين يطلقان في أوقات متباعدة حتى إذا ضل أحدهما أو قتل أو افترسته الجوارح امكن الاعتماد على وصل الأخر ، وقد جرت العادة ألا يطلق الحمام في الجو الممطر ولا قبل تغذيته الغذاء الكافي ، وكان جُل استخدامه في حمل الرسائل العسكرية التي تستدعى سرعة كبيرة وسرية متناهية ، كالإخبار عن تحرك القوات المعادية ، وطلي النجدة أثناء الحصار وما إلى ذلك من الأمور المتعلقة بالحروب وخططها ولتمييز هذه الطيور وضع لها خلاخيل في أرجلها أو ألواح في اعناقها بحيث تبدو مميزة عن بقية الطيور حتى إذا جاءت للمكان المراد عُرفت واخذت الرسالة التي تحملها. (احمد، 1976)

وقد اهتم السلمون بهذه الوسيلة واعتمدوا على الحمام الزاجل في كثير من الأغراض وعرف لديهم (بجناح المسلمين) وقد افردوا له ديوانًا خاصًا وأفوا جرائد ودفاتر بأنساب الحمام المستخدم ، ولم تكن قلعة من قلاع المسلمين تخلوا من برج للحمام الزاجل ، ولا من حظيرة للعناية به وتكثيره، ولا من عمال متخصصين في تربيته وتدريبه. (ابوخليل، 1967)

البريد البحري:

ارسل البريد على السفن في البحار والأنهار ، ولكن بشكل محدود ، وكانت للنيران ودخانها اصطلاحات خاصة بين الأبراج وفي الرباطات الساحلية ، يتفاهمون بها ، فيحذر كل برج البرج الذي يليه كتحذيره من سفن معادية غازية

إلا أن الاعتماد على البريد البحري لم يكن كثيراً بسبب بطء حركة المراكب والسفن ، ولا يلجأ إليه الحكام إلا إذا كانت الطرق البرية صعبة الاجتياز أو خطرة وطويلة.

5-6 البريد في الحضارة الإسلامية

6.1.5 - البريد في العصر الأموي

تشير أغلب المصادر التاريخية أن أول من وضع البريد في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيان لتسرع إليه بلاده من جميع أطرافها (وأخرون، 2004)

وأمر بإحضار رجال من دهاقينالفرس ، وأهل أعمال الروم ، وعرفهم ما يريد فوضعوا له البرد ، واتخذوا لها بغالاً ، وكان عليها سفر البريد (عبدالمنعم، تاريخ الحضارة الاسلاميه في العصور الوسطي ، 1963).

وقيل: إن عبدالملك بن مروان حين خلا وجهه من الخوارج ، أحكم نظام البريد وأدخل عليه التحسينات ، وجعله ركنًا في إدارة شئون الدولة (التليسي وأخرون، 2004).

وتفيد بعض الكتابات الأثرية إلىق يام عبدالملك بن مروان بصنعهة (الأميال) أي مسح الأراضي ووضع حدود على كل مسافة قدرها (ميل) ، بالإضافة إلى عمارة أربع طرق تخرج من القدس ودمش (سلفر، 1980).

وبلغ من اهتمام عبدالملك بشئون البريد أنه أوصى حاجبه أن لا يمنع عامل البريد من الدخول عليه ليلاً ونهارًا ، لأن عدم دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة كاملة (انور، 1983).

ويؤكد المؤرخون أن أبنه الوليد استخدم البريد في إحضار بعض المواد اللازمة لمشاريعه العمرانية.

كما تشير المصادر التاريخية أن الوليد بن عبدالملك يحمل عليه الفسيفساء وهو القصب المذهب من القسطنطينية إلى دمشق (ابراهيم).

وقد تطور البريد في العصر الأموي ، فتكون من شبكة من الطرق والمحطات وأصبح له ديوان كبير ووضعت له ضوابط ، وقسم ديوانه إلى رؤساء وموظفين وعمال كان يدفع لهم من موارد الخليفة ، ويسمى الرجل الذي يكلف بنقل البريد (بالبريدي).

وتمثلت مهام صاحب ديوان البريد فيعرض الكتب التي كانت تصله من جميع الولايات على الخليفة بعد إيجازها ، والإشراف على عمال البريد والاتصال ب(العيون) التي كانت تنقل الأخبار إليه ، ومعرفة الطرق المختلفة في الدولة ، حتى يقدم النصح للخليفة في حالة إسرال جيش أو أية مهمة أخرى ، وبذلك كان على صاحب البريد مراقبة الأوضاع في كافة الولايات ، وسلوك الولاة والقضاة ، وعمال الخراج وغيرهم عن طريق (العيون) وتزودي الخليفة بمعلومات تفصيلية عن كل هذه الأمور (كرد، 1968).

واستمر وضع ديوان البريد في عصر بني أمية يخذ في التطور والاهتمام فلم يزل العمل بالبريد قائمًا والعمل عليه دائمًا حتى نهاية حكم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، وانقطع التواصل بين أرجاء الدولة الدولة بعد ذاك بسبب الثورات والأحداث السياسية التي أسهمت في انهيار حكم الأمويين (ابوخليل، 1967).

وقد ربطت بعض المصادر التاريخية سقوط الدولة الأموية بكثير من العوامل الجوهرية كان إهمال خلفاء بني أمية المتأخرين بالديوان البريد أهم أسبابها : فقد أهملوا ادواتهم البريدية والإخبارية وهو ما أتاح الفرصة للعباسيين لاستغلال هذا الوضع في الإطاحة بالحكم الأمري. (سلفر، 1980)

6.2.5 - البريد في العصر العباسي

شهد العصر العباسي تطورًا ملحوظًا في ديوان البريد ، وإن لم يبدأ هذا الاهتمام والتطور إلا متاخرًا بعض الشيء ، فالحقيقة أن بعض المصادر التاريخية ترى أن الخلفاء العباسيين الأوائل لم يهتموا بأحوزال البريد ، واقتصرت مهام البريد في عهد السفاح والمنصور والمهدي على نقل أوامر الخلفاء إلى الولاة وأخبار الولاة إلى الخلفاء (عبدالمنعم، العصر العباسي الاول ، 1963)

واستخدموه كثيرًا في المراقبة الداخلية بدرجة غير مسبوقة ، فالمنصور تحديدًا قد منع ما اعتبره البعض استخدامًا مفرطًا للبريد في التجسس على رعاياه ، وقد اتسمت الحقبة العباسية بأحداث مثيرة أدى فيها البريد دورًا كبيرًا، وليس أدل على ذلك من أن علو شأن البريد وأهميته ارتبط طرديًا بأحداث البرامكة ونكبتهم الشهيرة في التاريخ ـ حيث اعتمد هارون الرئيد على البرامكة في تنشيط أعمال البريد في أرجاء الدولة تحت إمرة جعفر بن يحي البرمكي ، وانحدر هذا البريد بشكل سريع عقب النكبة التي ألمت بالبرامكة (صبحي، 1978).

ورغم إهمال البريد في عصر بني العباس ، إلا أن الطبري يسرد قصة تناقض ما قيل عن إهمال العباسيين للبريد ، فيؤكد اعتماد العباسيين على البريد ، حيث ورد على لسان أبي جعفر المنصور قوله: " ما كان أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر ، لا يكون على بابي أعف منهم ، فقيل له : يا أمير المؤمنين من هم ؟ قال: هم أركان الملك ، لا يصلح الملك إلا بهم ، كما أن السرير لا يصلح إلا بأربعة قوائم إن نقصت واحدة تداالى وهي أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية ، فإن من ظلمها غي ، والرابع ثم عض على إصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه ، أه قيل له : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب إلى بخبر هؤلاء على الصحة".

فالمتتبع لهذه القصة يلاحظ مدى اهتمام أبي جعفر المنصور بالبريد وبأن يكون صاحب البريد من أهل الثقة والأمانة والإخلاص (الطبري، 1962).

وقد استخدم المنصور عمال البريد الذين كانوا عيونًا له وعونًا على الإشراف على أمور دولته ، وبواسطتهم كان يقف على أعمال الولاة ، وعلى ما يصدره القضاة من الأحكام وما يرد ببيت المال من الأمور وما إلى ذلك ، كما كان ولاة البريد بوافونه بأسعار الحاجيات من قمح وحبوب وأدم ومأكولات وغيرها ، وبلغ من انتظام إدارة البريد في عهده أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في كل يوم ، فإذا صلى المغرب وافه بما حدث طول النهار ، وإذا صلى الصبح كتبوا إليه بما جرى في الليل من أمور، وبهذا كان يقف على كل ما يحدث في الولايات الإسلامية لذا كان شديد الاتصال بولاته ، فيوقف القاضي عند حده إذا ظلم ، ويُرجع الشعر إلى حالته الأولى إذا غلا ، وإن رأى من أحدهم تقصيرًا وبخه ولامه أو عزله من عمله مهانًا (انور، 1983).

وقد استعان خلفاء بني العباس بديوان البريد ، حيث اشركوا صاحب البريد والعاملين في الديوان البريدي في وضع الخطط الحربية ، والوقوف على أفضل الطرق لمباغتة العدو أو إنشاء كمين بسبب معرفتهم الواسعة بطرق المواصلات، ومواقع الأنهار والجسور والمسافات والطقس وما إلى ذلك من خبرتهم (ابراهيم) .

كما أن مهام صاحب البريد تطورت واتسعت فأضيف إليه مهمة مراقبة تصرفات الولاة المالية خاصة في الولايات البعيدة عن مركز الخلافة ، وكان من الصلاحيات الممنوحة إليه مراقبة التصرف بالأموال العامة حتى لو كانوا أبناء الخلفاء (النبراوي، 1997)

وجعل الخلفاء والأمراء بينهم وبين صاحب بريدهم علامات سرية يتفقون عليها ، ولو كان مختومًا بختم الخليفة ومن ذلك ما فعله أبو مسلم الخراساني حين دخل على المنصور ، وكان يخشى مغبة هذه المقابلة فاستخلف أبو مسلم على عسكره أبا نصر بن الهيثم وقال له: إن جاءك كتابي وهو مختوم بنصف خاتمي فهو خاتمي ، وإن كان مختومًا بكل الخاتم فأعلم أنه ليس ختمي ، ولما أمر المنصور بقتل أبي مسلم ، أخذ خاتمه وختم به رسالة إلى ابن الهيثم ، فلم أطلع عليه هذا الأخير عرف أنه كتب وختم رغم إرادة أبي مسلم ، أو دون علمه (ابوخليل، 1967) .

ويفهم من المصادر التاريخية أن ديوان البريد في عهد هارون الرشيد قد تطور أيضًا ، فقد أحاط هذا الخليفة مملكته بشبكة دقيقة من خطوط البريد كي يتوخى السرعة في تلقي الأخبار وإصدار الأوامر حتى صارت جميع الطرق تؤدي إلى بغداد مثلما كانت كل الطرق تؤدي من قبل إلى روما (سلفر، 1980).

وتؤكد المصادر التاريخية أن نظام البريد في الدولة الإسلامية لم يكن بريدًا عامًا لخدمة الأفراد ، وإنما خاصًا بأعمال الخلافة ومهامها ، ومع ذلك فقد كان يقوم أحيانًا بنقل رسائل الناس إلى ولاة الأمر أو غيرهم ، ولكن في أضيق الحدود ، لأن مهمته كانت في المرتبة الأولى مراقبة عمال الخلافة (احمد ا.، 1976) .

كما أسندت مهام أخرى لديوان البريد وهي مراقبة الطرق والمسالك من قطاع الطرق والجواسيس والأعداء ، لذلك نجد كثيرًا من المؤلفات الحديثة تشبه عمال البريد في تلك القدرة بأنهم رجال مخابرات في الوقت الحاضر ، حيث تطلق على رجاله اسم (العيون) وعلى رئيسهم (صاحب الخبر) ، كما وصف صاحب البرد قديمًا بأنه ولاية جليلة خطيرة ، وأن أصحابه بمنزلة العيون الباصرة ، والأذان السامعة لولاة الأمر.

والمتتبع لديوان البريد ونظامه في العصر العباسي يلاحظ اعتماد العباسيين غلى حد كبير على البريد من خلال الدواب ، وعبر الطرق لابرية كما سبق توضيح ذلك ، إلا أن الخليفة المعتصم بالله ثامن خلفاء بني العباس قد استعان بالحمام الزاجل الذي أطلق عليه (جناح المسلمين) حيث أشارت المصادر التاريخية أن المعتصم وكان ذلك عندما تم أسر بابك الخزمي في سنة (222ه/ 837م) ويبدو أن الحمام الزاجل لم يكن يستعمل إلا في أوقات الحروب حيث كانت الحمائم تحمل رسائل تكتب على بطاقات من ورق خفيف بخط دقيق عرف باسم (الغبار) لأنه مثل ذات الغبار.

6.6 - اسباب ودوافع اهتمام العرب بالبريد:

يمكن القول أن السباب التي أدت إلى اهتمام العرب في العصرين الأموي والعباسي بديوان البريد أو نظام البريد بشكل عام ترجع إلى الآتي:

1- اتساع رقعة الدولة العربية الإسلامية ، واتساع الفتوحات الإسلامية التي وصلت إلىة بلاد شاسعة من العالم ، مما يتطلب التواصل بين هذه البلدان.

2- مهارة العرب في امتطاء الخيول والجمال ، فهي جزء أساس من حياتهم الاجتماعية ، لذلك لم يجدوا صعوبة في التعامل مع هذه الوسيلة التي لا تحتاج إلى جهود ، وضرورة وجود خبرات خارجية ، بمعنى أنها من الأمور التي تعود عليها العربي ، كما أن هذه المهمة تحتاج إلى شجاعة وصبر وأمانة ، وهذه أشياء يتميز بها العربي أصلاً.

3- عندما احتاج العرب إبان الفتوحات الإسلامية الأولى إلى نظام اتصلات سريع وموثوق كانوا قادرين على تبني نسخة بدائية من النظم الإمبراطورية التي عهدوها سلفًا ، وهذا يشير ويوضح مدى تأثر العربي بالحضارات الأخرى مثل اليونان والفرس والروم.

4- حاجة الخلفاء في العصرين إلى معرفة أحوال البلاد التي يحكمونها والوقوف عن كتب على كل ما يحدث من أمور في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. (النبراوي، 1997)

6.7 - شخصية (البريدي) المكلف بأمر البريد :

اضمنت المهام التي ألقيت على كاهل البريدي بعض الشروط أو المتطلبات ، يمكن اختصارها في النقاط الأتية:

1- ضرورة أن يتقن البريدي كتابة الرسائل ، وأن يجيد فهم التوقيعات.

2- قوة الشخصية وحسن مخاطبة الحكام والأمراء وكبراء من وزراء وولاة وقضاة الدولة.

3- أني كون أهل ثقة وأمانة ويتميز بحدس وفطنة وذكاء وصبر.

4- أن يكون على معرفة كاملة بالطرق والأنهار والتضاريس والمسافات بين المدن والحواضر ، وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن أبا القاسم عبدالله المشهور (بابن خرداوية) كان يتولى البريد والخبر ، وقد ألف من خلال معرفته بالطرق كتابه المشهور(المسالك والممالك).

5- أن يحسن صاحب البريد إدارة من يعمل معه من موظفين وعمال وأن يتميز باللين والتعاون والحلم.

6- أن يكون البريدي على معرفة كافية بطبائع الحمام والخيول والجمال فهي وسيلة هامة ورئيسة من وسائل البريد كما سبق توضيح ذلك .(عبدالمنعم، تاريخ الحضارة الاسلاميه في العصور الوسطي ، 1963)

ملخص القول : في نهاية هذا البحث ، يمكن القول ، أن العرب اهتموا اهتمامًا كبيرًا بالبريد ، حيث اتضحت مكانة البريد في الحضارة العربية الإلاسمية على المستوى الرسمي للدولة من خلال مؤسسات الدولة ونظامها الإداري أو من خلال عامة الناس ، وفي هذا إشارة إلى الرقي الحضاري الذي وصل إليه العرب في العصرين الأموي والعباسي . (الباحثة)

7 - النتائج

والنتائج التي وصل إليها، فيمكن حصرها في النقاط الأتية:

1.. اهتم العرب بديوان البريد وكل ما يتعلق بهاذ النظام الإداري الهام ، حيث طوروه بعد أن أخذوا فكرته من الحضارات السابقة.

2. يرجع الفضل في إنشاء البريد بشكل منظم إلى معاوية بن أبي سفيان ، ثم توالت اهتمامات الخلفاء من بعده وشهد البريد تطورًا كبيرًا.

3. تعددت وسائل البريد من برية وبحرية وجوية (عن طريق الحمام الزاجل) واستُخدمتْ كُل وسيِلة وفق الحاجة إليها ، ولكن أغلب الوسائل استخدامًا كانت البرية .

4. استفاد العرب من البريد في مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية.

5. حرص خلفاء المسلمين والولاة في العصرين الأموي والعباسي على اختيار أفضل الرجال لتولي مهمة البريد ، وهذا يعكس أهمية البريد لدى هؤلاء الخلفاء والولاة.

8 ـ الخاتمة

وصل هذا البحث إلى نهايته بعد استعراض مجموعة محاور تتعلق بنظام البريد في الحضارة العربية الاسلامية التي كان لها الفضل فيما بعد على باقي دول العالم ، فلا أحد ينكر الفتوحات العربية الاسلامية قد رافقتها نهضة ثقافية وحضارية جبارة أوصلت العرب إلى أعلى المراتب في العلوم والآداب ، ولعل التطور الذي شهدته الأنظمة الإدارية والاهتمام بالدواوين المتعددة ، والتي كان ديوان البريد في مقدمتها ، ؛لعل هذا التطور يكشف لنا مدى رقي هذه الحضارة وفضلها على العالم ، كان لنظام البريد في العهد الإسلامي تأثير كبير على تطور الدولة الإسلامية من خلال تحسين التواصل والإدارة ودعم الاقتصاد ونقل المعرفة. تعد دراسة نظام البريد في هذا العهد فرصة لفهم جوانب مهمة من التاريخ الإسلامي وكيف ساهمت هذه الأنظمة في تحقيق ازدهار الدولة.

9 ـ المصادر والمراجع

1. ابن بطوطه. (1987). *الرحلة*. دار احياء العلوم بيروت. تحقيق الشيخ محمد العريان .
2. ابن طباطبا. (1960). الفخري في الآداب السلطانية. دار التراث. بيروث.
3. ابو العباس بن احمد. (1976). القاهره.
4. الرازي ابوبكر. (1976). *مختار الصحاح*. القاهرة: دار المعارف.
5. الرفاعي انور. (1983). *النظم الاسمية* . ابي فراس الحمداني .
6. الصالح صبحي. (1978). *النظم الاسلامية*. القاهرة.
7. الطبري. (1962). *تاريخ الامم والملوك* . دار المعارف.
8. بشير التليسي وأخرون. (2004). *تاريخ الحضارة الاسلامية* . طرابلس: دار المدار.
9. حتي فيليب. (1986). *تاريخ العرب*. بيروت : دار الفكر.
10. حسن ابراهيم. (بلا تاريخ). *تاريخ الاسلام السياسي والديني والاجتماعي*.
11. حسن الباشا. (1978). *دراسات في الحضارة* . القاهرة : دار النهضة.
12. سهيله الجبوري. (1977). *الخط العربي وتطورة حتي نهاية العصر الاموي*. بغداد: دار المثني.
13. شتاين ادم سلفر. (1980). *النظم الاسلامية في العالم الاسلامي قبل الحديث*. بيروت: دار الفكر العربي.
14. شوقي ، ابوخليل. (1967). *الحضارة الاسلامية* . طرابلس: الدعوة الاسلامية .
15. عبدالرزاق احمد. (2004). *الحضارة الاسلامية في العصور الوسطي*. القاهرة : دار الفكر العربي.
16. علي محمد كرد. (1968). *الاسلام والحضارة العربية*. القاهرة: دار القاهرة.
17. فتحية النبراوي. (1997). *النظم والحضارة الاسلامية* . القاهرة: دار الفكر العربي.
18. ماجد عبدالمنعم. (1963). *العصر العباسي الاول* . القاهرة : الانجلو المصرية .
19. ماجد عبدالمنعم. (1963). *تاريخ الحضارة الاسلاميه في العصور الوسطي* . القاهرة.